جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية.

كلية اللغات والآداب.

قسم اللغة العربية وآدابها.

مقياس فقه اللغة العربية السنة الأولى ل.م.د المجموعة 01

المحاضرة الأولى: تحديد المصطلحات، فقه اللغة وموضوعاته وعلاقته بعلم اللغة والفيلولوجيا.

1- تحديد المصطلحات:

هناك عدة مصطلحات ومفاهيم في الدراسات اللغوية، يختلف العلماء في تحديدها، وحريّ بنا تحديدها أولاً، حتى يكون الدارس على بينةٍ منها.

1-1 اللغة: أصل المادة لغا يلغو لغواً: تكلم... واللغة: اللسن وهي فعلة من لغوت أي تكلمت أصلها لُغْوة ككرة وقلة...، أمّا اصطلاحا فيعرفُها ابن جني بأنها:" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" وبعض المحدثين يعرفها بالتعريف الاجتماعي فيقول: " نظام من رموز ملفوظة عرفية بواسطها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة" ، قدلا تبدو أهمية اللغة ودراسة علومها – وهي تسلك في مجموعة العلوم الإنسانية – لا تبدو هذه الأهمية في مستواها الحقيقي عند مقارنتها بالعلوم الأخرى لاسيما العلوم الدقيقة والتكنولوجية...وربما ينعكس ذلك على الاهتمام بدراسة اللغة مما يؤدي إلى عدم إعطائها القدر الكافي، والمساحة الضرورية في وضع البرامج والتخطيط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

لكن لو حللنا المسألة بعمق وموضوعية لتبين لنا أن اللغة – أي لغة – هي عصب العلوم في جميع فروعها، بل هي أداة الحياة والحضارة والتقدم.

حتى يمكن للمرء أن يقول أن الإنسان بتميزه عن غيره من المخلوقات قد كان له ذلك بفضل هذه النعمة، حتى أنه قد يصدق القول ، الإنسان حيوان ذو لغة بما للغة من ارتباط وثيق بالتفكير وتأمين الاتصال، ويمكن الرجوع في هذا إلى الكثير مما سجله الباحثون ورجال الفكر، فاللغة هي الإنسان، قال تعالى (خلق الإنسان علمه البيان) صدق الله العظيم. ففي هذه الآية نلاحظ هذه العلاقة بين خلق الإنسان وتعليمه البيان أي الكلام بلسان مبين مختلف عن وسائل الاتصال الأخرى، أوما يسمى بلغة الطيور والحيوانات وغيرها، فالمخلوق الوحيد الذي يمتلك مثل هذا اللسان وهذه الأداة هو الإنسان، والإنسان وحده.

ولذا فكل ما يتعلق بالإنسان وتفاعله مع هذا الكون يستند أصلا إلى اللغة ومن هنا كانت اللغة جديرة بالاهتمام والبحث والدراسة للاستفادة من مزاياها وإمكاناتها إلى أقصى حد.

والتفصيل في هذا الموضوع قد يطول، ولكن يمكن أن أقول باختصار، أن اللغة، هي واحدة من الوسائل الحيوية الأربعة التي ما كان للإنسان أن يستمر في هذه الحياة بدونها ولكن على الترتيب في الأهمية، بدءا بالهواء الذي لا يمكن العيش بدونه دقائق معدودة ولذلك وفرته العناية الإلهية بصورة غير محدودة، بل هو الذي لا يسعى الإنسان إليه.

ويأتي بعد ذلك وفي المرتبة الثانية – الماء – إذ لا يستطيع الإنسان الصبر على فقدانه إلا لأيام معدودة، ولذلك توفر في الحياة ولكن ببعض السعي والجهد من بحث أو سفر أو رحلة أو غير ذلك، ثم يأتي في المرتبة الثالثة الغذاء وهو من الضرورات التي لابد منها لاستمرار الحياة، ولكن يمكن الصبر على فقدانه لفترة أطول، لذلك كانت الحكمة الإلهية توفره إنما بصورة أقل وتحتاج إلى فترة أطول من السعي والطلب.

وأخيرا تأتي اللغة والتي قد تعيش البشرية بدونها فترات طويلة نسبيا ولكن لولاها لما استطاعت أن تتقدم وتزهر وتبني وتعمر وبالتالي كانت عوامل الطبيعة قد عدت عليها فانقرض الإنسان، وانقرضت الحياة، إذ أننا لا يمكن أن نتصور هذا التقدم العلمي الصاعد لو كان الإنسان دون لغة.

1-2 فقه اللغة وعلم اللغة :

أولاً : التعريف اللغوي للمصطلحين :

جاءت كلمة فقه في لسان العرب بمعنى العلم، يقول ابن منظور " الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم "، وجاء في المعجم الوسيط " فَقِهَ الأمر– فَقَهاً وفِقْهاً: أحسن إدراكه، يقال فقه عنه الكلام ونحوه: فَهِمَهُ فهو فَقِهٌ "، وكلمة " علم " أتت بمعنى فقه، ففي لسان العرب " وعلمت الشيء أعلمه علماً عرفته، قال ابن بري: وتقول علم وفقه أي تعلم وتفقه ".

إذاً، من خلال ما سبق تبين أن التعريف اللغوي للمصطلحين دلا على معنى واحد.

ثانياً : التعريف الاصطلاحي للمصطلحين :

دلّ كل من" فقه اللغة " و " علم اللغة " في القديم على معنى واحد وذلك بسبب ترادف كلمتي (فقه وعلم) فالقدماء لم يفرقوا بين فقه اللغة وعلم اللغة، فهذا (أبو الحسين أحمد بن فارس) المتوفي سنة 395هـ صنف مؤلفه " (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) وناقش فيه قضايا لغوية مختلفة "، وهذا (جلال الدين السيوطي) سمى مؤلفه الحافل بالأبحاث اللغوية الموسوم ب (المزهر في علوم اللغة

وأنواعها)، غير أن هناك كتباً لعلمائنا العرب في القديم لم تحمل أي مصطلح بصفة علنية من " فقه اللغة وعلم اللغة " من مثل كتب (الخليل) وكتاب (ابن جني) (الخصائص) وكتابه الآخر (سر صناعة الإعراب) وغيرها وهي في صميم فقه اللغة .

أما المحدثون يختلفون في نظرتهم إلى هذا المصطلح، فهناك فريق تأثر بالدراسات العربية القديمة، فجاءت نظرتهم متأثرة بنظرتهم التي لا تفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة، ومنهم:

1- علي عبد الواحد وافي، يقول في مقدمته لكتابه فقه اللغة: " فقد عرضنا في كتابنا (علم اللغة) لدراسة النواميس العامة التي تسير عليها اللغات الإنسانية في نشأتها، وانتقالها من السلف إلى الخلف ... ثم يقول " سندرس في هذا الكتاب .. فصيلة خاصة من اللغات السامية وهي فصيلة " اللغات السامية مفصلين بعض التفصيل في لغة منها، وهي اللغة العربية .... فمؤلفنا هذا في منزلة الجزء الثاني من كتابنا " علم اللغة " .

مما تقدم يتبين أن هذا الباحث يجعل " فقه اللغة " و " علم اللغة " شيئاً واحداً مع اختصاص فقه اللغة بالعربية وحدها.

2- الأستاذ محمد المبارك ، له كتاب بعنوان " فقه اللغة" : دراسة تحليلية مقارنة للكلمة المقارنة" ، يسوي فيه بين علم اللغة وفقه اللغة إذ يقول " إن علم بهذا المفهوم الذي بسطناه والذي آل إليه الأمر في تطور البحث اللغوي نرى أن تطلق عليه أحد الاسمين: علم اللغة أو فقه اللغة، وكلامها يفيد المقصود ".

3- صبحي الصالح ، لا يفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة في كتابه (دراسات في فقه اللغة)، إذ يقول: " من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة وفقه اللغة، لأن جل مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب " ثم يقول " وإذا التمسنا التفرقة بين هذين الضربين من ضروب الدراسة اللغوية، من خلال التسميتين المختلفتين اللتين تطلقان عليهما، وجدناها تافهة لا وزن لها ". ثم يقرر فكرته بقوله " وإنه ليحلو لنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية القديمة –يقصد فقه اللغة– شيئًا، وأن يعمموها على جميع البحوث اللغوية لأن كل علم لشيءٍ فهو فقه، فما أجدر هذه الدراسات أن تسمى فقهًا".

4- محمد أحمد أبو الفرج يقول في مقدمة كتابه "مقدمة لدراسة فقه اللغة" ووضحت أن منهم من يسوي بين المصطلحين وهم الأكثرية، ومنهم من يوجب الفصل بينهما وانتهيت إلى التسوية بينهما معتبرًا في ذلك مصلحة الدراسة اللغوية في عالمنا العربي".

وفريق آخر تأثر بالدراسات اللغوية الغربية، فجاءت نظرته شاملة لما هو موجود في الدراسات الغربية، ومنهم:

1- **محمود السعران**، إذ قدم تعريفًا دقيقًا لعلم اللغة بقوله:"علم اللغة هو العلم الذي يتخذ من اللغة موضوعًا له"ويقول في كتابه "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي "اللغة التي يدرسها علم اللغة ليست الفرنسية أو الأنجليزية أو العربية ليست لغة معينة من اللغات إنما هي اللغة التي تظهر وتتحقق في أشكال لغات كثيرة ولهجات متعددة وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني".

2- **عبد راجحي** في كتابه " فقه اللغة في الكتب العربية" بعدما قدم الحديث في حدود "فقه اللغة وعلم اللغة يقول بعد ذلك: " ومهما يكن من أمر فإن تطور علم اللغة في هذا القرن – على اختلاف مناهجه ومدارسه– قد ساعد على التميز الواضح بينه وبين فقه اللغة وهذا ما نرمي إليه هنا.

3- **محمود فهمي حجازي** في كتابه "المدخل إلى علم اللغة" يفرق بين علم اللغة وفقه اللغة فيقول :(ويختلف علم اللغة بمعناه الحديث عن علم الفيلولوجي).

انطلاقا مما سبق يمكننا أن نخرج بتعريف لفقه اللغة باعتباره مصطلحا عربيا من خلال اعتباره ذلك العلم الذي يتعمق في دراسة اللغة العربية بكل مستوياتها؛ من مستواها الصوتي فالصرفي فالنحوي فالدلالي، ومن خلال التركيز على خصائص اللغات وما يطرأ عليها من تغيرات، وما ينشأ فيها من لهجات كما يبحث هذا العلم في المعاجم وعن أصل اللغة ومصدرها وكيف نشأت... بعبارة أقصر فقه اللغة هو الفهم العميق للغة من خلال دراستها.

2- فقه اللغة عند الأروبيين (الفلولوجيا philology)وعلاقته بفقه اللغة عند العرب:

الحقيقة أن ترجمة مصطلح فيلولوجيا من اللسان الفرنسي إلى مصطلح فقه اللغة في اللسان العربي لترجمة ضعيفة لأن كلاهما يختلف عن الآخر، أما فقه اللغة فسبق لنا أن وفقنا مطولا عنده بالتالي لابد لنا الوقوف عند التعريف بالفيلولوجيا.

لقد بدأ كل شيئ حينما ظهر في أروبا جملة من الدراسات اللغوية التي تهتم بدراسة النصوص اللاتينية واليونانية المأثورة؛ هاتين اللغتين المقدستين، وباعتبارهما الوعاء الحاوي لتراث الحضارتين الرومانية والإغريقية، والمتمثل في الفلسفة والدراسات اللغوية التي تركتها مدرسة الاسكندرية منذ حوالي (300ق.م و 150ق.م) آنذاك نالتا قدرا معتبرا من اهتمام الباحثين اللغويين، سميت هذه الدراسات التي تتناول هذه النصوص لشرحها وتفسيرها باسم الفلولوجيا، وسرعان ما دخلت هذه الدراسات في مسار المقارنة لاسيما حينما اكتشف الباحث الانجليزي (السير ويليام جونز) اللغة السنسكريتية سنة 1786م.

إذن الفيلولوجيا كمصطلح غربي هو دراسة النصوص المكتوبة وتحقيقها، وهو دراسة لتاريخ الكلمات والمقارنة بينها في كل المستويات، أما فقه اللغة كمصطلح عربي خالص لم يكن له منهج واضح المعالم، كما اقتصرت فيه الدراسة على اللغة العربية وحدها لهدف ديني أو تعليمي، ولم يكن له موضوع محدد فشمل أحيانا دراسة جوانب لفظية أو بلاغية أو نحوية...، بالتالي فإن مصطلح فيلولوجيا لا يقابله تماما مصطلح فقه اللغة الذي أطلق أحيانا للدلالة على تلك الدراسات المقارنة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية، وأحيانا للدلالة على الدراسات المقارنة بين الألفاظ الفصيحة وغير الفصيحة من لهجات قديمة أو حديثة مثل الدراسة التي أوردها الباحث (إبراهيم أنيس) في كتابه (اللهجات العربية)...

3- موضوعات فقه اللغة وفائدته:

1- القول في أصل اللغة، والخلاف في ذلك .

2- خصائص اللغة العربية، وما تنطوي عليه من أسرار وجمال.

3- معرفة سنن العرب في كلامهم، وأساليبهم .

4- العلم بالأصوات اللغوية .

5 - لهجات العرب، واختلافها .

6- بنية الكلمة العربية وهو ما يسمى بالصرف .

7- الجملة، أو التركيب وهو ما يسمى بالنحو .

8- دلالة الألفاظ ،أو معانيها .

9- تطور دلالة الألفاظ وانحطاطها .

10- الاشتقاق بأنواعه .

11- المشترك والمترادف والمتضاد، والنحت .

12- التعريب وضوابطه .

13- المعاجم العربية، ومدارسها، ومناهج أصحابها.

14- مسألة تنقية اللغة .

15- ما تواجهه العربية من عقبات ومشكلات، وما يحاك ضدها من مؤامرات .

16- مواكبة العربية للعصر الجديد، واستيعابها للمصطلحات الجديدة كالمصطلحات الطبية والصناعية

17- جهود العلماء في هذا الباب في القديم والحديث .

18- قضايا الدعوة إلى العامية، وترك الإعراب (الفصحى)، وإصلاح الخط العربي، وما إلى ذلك .

19- العناية بالدراسات التي تقوم بها المجامع اللغوية، وما يتمخض عنها من نتائج وقرارات .

4- أهداف فقه اللغة، وثمراته، وغاياته:

1- أن ذلك باب عظيم من أبواب العلم، يجمل بالفاضل أن يقف عليه، ولو لم يتعمق فيه .

2- الوقوف على شيء من بديع صنع الله – عز وجل – فدراسة الأصوات اللغوية – على سبيل المثال – تطلعنا على الجهاز الصوتي الذي يعد آية من آيات الإبداع الإلهي، بعبارة أخرى التفقه في اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) يكشف أمامنا سر إعجازه اللغوي والعلمي.

3- التمكن من النطق السليم: فمعرفة مخارج الأصوات، وصفاتها وما يترتب على ذلك من مباحث مهمة – تعين على النطق السليم للغة .

4- الاعتزاز باللغة العربية: فدراسة اللغة دراسة علمية تجعلنا ندرك ميزاتها، وتمكننا من معرفة أسرارها . وذلك يدعو إلى الاعتزاز بالعربية اعتزازاً مبنياً على واقع مدروس .

5- مواجهة ما يحاك ضد العربية: كاتهامها بالصعوبة، والجمود، وكالمناداة بترك الإعراب(الفصحى) والتوجه إلى العامية، وكتابة الحروف بحروف جديدة إلى غير ذلك من الدعاوى التي تحاك ضد العربية، والتي يراد منها هدم الدين، أو التشكيك فيه، أو إضعاف أثره في نفوس أهله .ولا ريب أن مواجهة مثل هذه الدعاوى وأمثالها نوع من الدفاع الذي يكسب صاحبه شكوراً، وتزداد به صحيفة أعماله نوراً .

6- تعظيم السلف الصالح: فالوقوف على ما بذلوه من جهود جبارة في سبيل خدمة لغة القرآن يبعث في نفس المطلع على ذلك إجلالُ أولئك العلماء وتعظيمهم، والحرص على أن نبني كما بنوا .

7- سد الحاجة، ومواكبة التطور: فالعلم باللغة، والوقوف على دلالتها يسد حاجة عظيمة سواء في تعريب الألفاظ، أو الاستغناء عن المصطلحات الدخيلة، أو في بيان المقصود مما يفيد اللغة العربية من ألفاظ أو مصطلحات.

انتـهـــى